سر التجسد والعصر الخاص بنا

الأب ميغيل أنخيل فونتِس- الكلمة المتجسد

لقاء ال IVE - روما 30 تموز 2019

يؤكد القديس بولس أن "فيه خُلقَ كل شيء ما يُرى وما لا يُرَى" (كول 1 ، 16). كلمة "فيه" تُشيرإلى يسوع المسيح. هو مركز الكون والتاريخ. تاريخ الإنسانية ينقسم إلى قسمين يوم التجسد. منذ اللحظة التي قالت فيها العذراء التي من الناصرة "نعم" للملاك الذي طلب منها ، بإسم الآب الأبدي ، أن تكون والدة ابنهُ ، ينقسم تاريخ الإنسانية إلى ما قبل وإلى ما بعد. قبل المسيح ؛ بعد المسيح.

لكن يوجد نقطة تحول أخرى في التاريخ. إنها نقطة تَحَوُّل فاصِلة. خط يبدأ من الجنّة ، حيث خلق الله آدم وحواء ، ويصل إلى نهاية التاريخ حتى موت آخر إنسان. أيضاً هذه لنقطة تحوّل فاصِلة تَقسم التاريخ إلى قِسمين: أولئك الذين هم مع المسيح وأولئك الذين هم ضده.

وبالتالي، لدينا نَقشان يُشَكِّلان صَليباً: أحدهم عرضيّ، والآخر عمودي. والسيد المسيح حاضر على مر التاريخ ، ولكن بطريقة مختلفة.

قبل تَجَسُّدِهِ تَمَّ فقط إستباقُ عرضه و التَنَبُّؤ بهِ. كان ممكناً فقط لمحه ، التَنَبؤ به ، الحِلم به ، والرغبة به.

وبعد ذلك تمَّ تَجَسُّدُهُ : يملكُ جسداً ونفساً بشرية. يمكنك رؤيته ، لمسه ، الإحساس به ، تَقبيلَهُ ، احتضانه ، وحتى جَرحَهُ ، ضَربَهُ وقَتلَهُ. ذكر القديس يوحنا الرسول في شيخوخته أنَّ هو والتلاميذ الآخرون أنّهم قد لمسوا كلمة الحياة ، الذي صار جسدًا ؛ لقد رأوهُ وسَمِعوه . لهذا السبب تحدثوا عن الذي عَرَفوهُ مِن تجربتهم الشخصية.

لكن سواءً قبل او بعد التَّجَسُدْ إنَّه لَمِنَ الممكن الحصول على يسوع في القلب عن طريق الإيمان والمحبة؛ أو ممكن رفضه لعدم الايمان أو اللامبالاة أو حتى الكراهية.

وبالتالي فإن هذين الطريقين يُعطِياننا وضعاً مُعَقَّداً في لحظة التمييز بين الناس. أولئك الذين عاشوا من قبل وأولئك الذين عاشوا بعد تجسد وميلاد المسيح. يوجد أيضاً أولئك الذين كانوا مُتَّحِدين به من خلال الرجاء والإيمان الذي كان يُحْسَبْ له حِساب بين الغيوم والظُلُمات، مثل آباء وأنبياء العهد القديم؛ وأولئك الذين اتَّحدوا به من خلال الإيمان المُضاءْ في العهد الجديد والمحبة المُتَّقِدة التي تولد من القلب الإفخارستيّ للرب. ثم هناك أولئك الذين رفضوا وقتلوا الأنبياء الذين تَحَدَّثوا عن هذا المُخلِّص-المسيح الذي وَجَبَ أن يأتي وقد إنْتَهَكوا ذبائح العهد القديم التي تُظهره (المسيح) مسبقاً وعَصوا الوصايا التي تُجَهِّزْ القلوب لاستقباله عند مجيئه؛ ويوجد أولئك الذين في أيّامنا يديرون الأَظْهُرْ لهذا المسيح الذي يتواجد بشكل واضح في حياتهم، لهذا المسيح الذي يقول لهم، كما قد قال لِأعدائِه: ***"وأنتم لا تريدون أن تُقبِلوا إليَّ، فَتَكونُ لَكُمْ الحياة (...) (أنتم) فلم تَقبَلوني"*** (يو 5: 40.43).

القديس اغسطينوس، بحثاً لحل هذا السر الذي يُعرِّفُنا ويَشمَلُنا ، يقول أنَّ في هذا العالم يوجد مدينتين، دولتين فقط. مدينة الله ومدينة العالم. تلكَ التي هي لِشعبْ الله والأُخرى للدُنيَوِيّين. وتِلكَ لِلَّذينَ يَنتَمونَ للمسيح وتِلكَ للذين هم أعداء للمسيح.

إنَّ مدينة الله قد بدأت في السماء، مع الملائكة الذين ظَلّوا مُخلِصينَ لله، وَوَضَعَتْ جذورها في هذه الأرض عندما هابيل، الشهيد الأول، قد ماتَ بسبب حُبِّه لله وتقديمه ذبائح طاهرة له؛ تَقدِماتٍ، بسبب جمالها ونضارتها، أَيْقَظَتْ حَسَدْ وإستياء الأخ القاتل. لهذه المدينة أو البلد قد إنتَموا جميع أولئك الذين هم لِـ الله، قبل وبعد التجسد، ناظرين دائماً إلى المسيح المتجسد.

قَبلَ أن يَتَجَسَّد كانوا ينظرون إليه من بين الستائر، في النُبُوآت وفي الشّخصيّات النبويّة، وإنتظروه، رغبوا به بقوّة وبحثوا عنه. كم من أسماءٍ لهؤلاء المواطنين المُمَيّزون الذين سمعنا بهم في كثير من الأحيان: هابيل ، هينوك ، نوح ، إبراهيم ، سارة ، إسحاق ، موسى ، الأنبياء ...! والعديد من قديسي العهد القديم الآخرين: ملوك ، زعماء ، بطلات ، ملكات ، رُعاة بسيطين ، ومالِكي بيت الذين نُقلت أسماؤهم إلينا من الكتب المقدسة! وآخرين كثيرين فقط الله يعرفهم ، حتى من بلدان أخرى، مثل أيوب ، وأولئك الذين، من خلال طرقٍ ما فقط الله يعرفها، قد أَوصَلَ نعمته، والتي هي دائماً نعمة المسيح! هم، كما يقول القديس أغسطينوس والقديس توما الأكويني، كان لديهم إيمان بالمسيح، فقط كان إيماناً في المسيح الذي سيتم مجيئه. مع التَّجَسُّدْ، في مدينة الله هذه دَخَلوا سيولٌ من الرجال والنساء الذين آمانوا، في المسيح الذي أتى، أعطى الحياة لنا وقام، وسيعود في نهاية الأزمنة لِيُنهيَ مَهَمَّتَهُ حاكماً على الأحياء والأموات. ***وجعل كل شيءٍ تحت قَدَمَيه***، كما يقول القديس بولس (أف 1: 22) ، أي حتى يسود على كل شيء وعلي الجميع.

إنَّ المدينة الدنيوية بَدَأَتْ مع الملائكة الذين تمردوا ضد الله، مُتَحَوّلينَ إلى شياطينٍ، واستَمَرَّتْ مع كل الذين فَضّلوا أَنفُسَهُم على الله. هؤلاء الذين قَبلَ التَجسُّد لم يسمعوا للأنبياء الذين بَشَّروهم بالمسيح الذي مجيئهُ كان قريباً، فاضطهدوهم وقتلوهم. أولئك الذين تَمَرَّدوا أكثر من مرة ضد الآباء وضد كل الذين حاولوا بإسمِ الله أن يقودوهم إلى الوطن السماوي. هؤلاء هم الذين يتحدث عنهم الله في المزمور: "سَئِمتُ هذا الجيل.. هم شعبٌ ضَلَّلت قُلوبُهم.. ولم يَعرف سُبُلي "(مز 95 ، 10). هذه المدينة تستمر ايضاً اليوم في أن يكون لها مواطِنوها: هم جميع أولئك الذين، على الرغم من معرفتهم للمسيح، وحتى البعض منهم مُعَمَّدْ، يعيشون كما لو أنَّه ليس هو الله، أو كما لو أنه لم يَتَجَسَّدْ، أو كما لو أن شريعته ليس لها قيمة مُطلقة.

يقول القديس اغسطينوس أنَّ مدينة العالم (الدُنيَوية) قد بَناها حُبْ الناس لأنفُسِهِمْ لدرجة احتقار الله. لهذه المدينة ينتمون إذاً جميع الذين قبلَ التجسد وبعده أحبوا أنفسهم اكثر من حبهم لل الله. أولئك الذين عاشوا قبل التجسد، حاولوا - بوعي أو بغير وعي - لمنع مجيئهُ. أولئك الذين وُلِدوا بعد تجسُّدِهُ، حاولوا عرقلتَ تحوُّل وتأليه (تقديس) العالم الذي هو العمل الخلاصي للتَّجَسُّدْ.

إنَّ مدينة الله بَناها حب الله إلى حد الإحتقار لنفسه. لهذه المدينة إنتَموا وينتمون كل أولئك الذين يُحِبُّونَ الله أكثر من أنْفُسَهُم ويتركون أنفسهم ليتم قيادتهم من خلال حب الله وشريعته. أولئك الذين عاشوا قبل التجسد حاولوا إعداده وتعجيل حدوثه بتضحياتهم وصلواتهم، مثل هؤلاء الذين يصليون ويَئِنُّوا مع إشعياء: "*أَقطُري أَيَّتُها السَّموات من فوق، ولْتُمطِرِ الغيوم البر، لِتَنْفَتِحَ الأرضُ ولْيُبَرعِمِ الخلاص ولْيَنْبُتْ البِرُّ أيضاً*" (أشعيا8:4). أولئك الذين ولِدُوا بعدَ التَّجَسُّدْ يحارِبون دائماً بحيث يتَجَلَّى في كل الحقائق الإنسانية إلى أن يَنعَكِسْ كلُّ شَيءٍ بإتِّجاه المسيح ونعمته.

إذاً التَّجَسُّد هو مركز كل شيء. إنَّهُ مركزُ الإعصار. إنه ميدان كل المعارك. إنه "عَلَمْ التَّناقُضْ"، كما سَمَّاهُ سِمعان عندما حَصَلَ على الطفل من ذراعيّ مَريَمْ. "حَجَرْ عَثرة"، وفقًا لكلام الشيخ، الذي فيه تنقسم مياه البشر. يَرتَفِعْ البعض فوق هذا الحجر، وآخرون يصراعون الحجر. لاحقاً يَسوع نفسه سيقول: "من لم يكن معي كان علي، ومن لم يَجمَعْ مَعي كان مُبَدِّداً"(متـ 12:30). كانت عيون مريم مغمورين بالدُموع لسمع الكلمات الملفوظة من سمعان الشيخ عن ابنِها، ولكن كأم شابة وشجاعة، تَضُمُّهُ بِقُوَّة على صدرها وتَتَجَّهَزْ لتكون مُحتَقَرَة مَعَهُ وتُطعَن بنفس السيف الذي سيُرفَعْ ضده. مَلِكَةَ سيوفٍ سبعةٍ. شريكة بالخلاص. درع للابن المتجسد.

عندما نقول "تَجَسُّدْ"، نقول أنَّ كلِمةَ الله أصبح إنساناً حقيقياً. يسوع المسيح هو إلَه حقيقي وإنسان حقيقي. الأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس قد أخذَ طبيعة إنسانية لِيُقَدِّمَها في ذبيحة طوعية، حَتَّى آخر قطرة دم، من أجل خطايا الناس، حتى إنَّ هذا الدم يُنَقّي ضمير جميع البشر، لَيسَ مُهِمّاً كميّة ولا أيّ خطايا تَمَّ إرتِكابها. إذاً، لتخليص البشر من عبودية الخطيئة، من الشيطان ومن الموت الذي بسبب الخطايا تم سجنهم فيه.

ومن الواضح أنّ الذي يَملُك البشر بسلطته، الشيطان، يعارض بكل القُوَّات الممكنة لسر التجسد المُحَرّرْ. لأن معركة الكلمة المتجسد هي بشكلٍ خاص ضد الشيطان وضد أولئكَ الذينَ يُشارِكَهمْ قُواهْ. في سفر الرؤيا يُدعى "***مُضَلِّل المعمور كُلِّه***" (رؤيا يو 12: 9)؛ والرسالة إلى العبرانيين "سيد الموت" (عب 2: 14). وسفر الرؤيا يَصِفُهُ حينما يجمع جيشاً مُؤلَّفاً مِنْ بَشَر وشياطين للقيام بمعركة، لوضع عائق وإبادة عمل حمل الله، الذي هو الكلمة المتجسد. القديس يوحنا يدعو أولئك الذين ينخرطون في هذا الجيش المعارض "أبناء الشيطان"، وأولئك الذين يقاتلون ضدهم، هم "أبناء الله" : "***لما يُمَيِّز أبناء اللهِ مِن أبناءِ إبليس هو أنَّ كُلَّ مَن لا يَعمَلُ البِرَّ لَيسَ مِنَ الله، ومِثْلُه مَن لايُحِبُّ أَخاه***" (1 يوحنا 3: 10).

العبارة الأكثر وضوحا من هذه المعارضة على التجسد قابلتَها في اثنين من أكثر الكُتَّابْ الذين يتم قراءة مؤَلَّفاتِهم في عصرنا، آباء المدرسة الفلسفية الذين ساهموا بشكل أكبر في الثورة الثقافية التي دفعت حضارتنا إلى الدمار الثقافي الحالي وإلى الوضع القمعي ضد الطبيعة التي فيها نعيش مَظلومين في عصرنا. المُوَجِّهَيْنْ الرَئيسَيّنْ للمدرسة الماركسية في فرانكفورت، ماكس هوركهايمر وتيودور أدورنو، الذين يؤكديون بكثير من الوضوح في عملهم الأكثر رمزية على أن " تَأَنُّس الله في المسيح لَهوَ بروتونات زائفة"[1]. هذا التعبير وُضِعَ هكذا في الأصل، أي اليونانية. ومن المحتمل أنَّهُمْ قَد عَثَروا على هذا المُصطلح في عملٍ من أعمال فرويد، مشروع للحصول على علم نفس- بطريقة علمية (1895)، وأخذوه بدورهم من الذي قد صَاغَه بالفعل ، أرسطو[2]. بهذه الجملة، الفيلسوف اليوناني القديم، قد أشارَ إلى ذلك الإفتراض المتعلق بالبرهانْ (تعليل - تفكير)، والذي، بِكَونه خاطئ، يؤدّي إلى نتائج حتماً لَهيَ خاطئة. بروتونات زائفة تعني، في الحقيقة، "أول إفتراض باطل " أو "أصل الباطل". هذا الخطأ الذي، عبثاً كان أم كذباً، بِمُجَرَّدْ قبوله؛ سَيُؤَدّي إلى خِداعِنا في جميع الأشياء التي سنحاول استنتاجها منه (الافتراض الباطل). بهذا الشكل،

---

[1] زخرفة ، جدلية الرَسم التوضيحي. فُتاتات فلسفية، و تروتًا، مدريد (1998)، 222.

[2] أرسطو، التحليلات الأولى، الكتاب الثاني، الفصل. 18, 66 أ، 16. ربما "وفقاً لأندرسون (1962) (دراسات عن ما قبل تاريخ التحليل النفسي)، أخذ فرويد الطبيب فيينا ماكس هيرز الذي استخدم هذه العبارة ، في سياق مشابه ، في دراسة قرأها قبل" قسم الأعصاب" [الذي كان فرويد أمينًا له] في مؤتمر علمي عُقد في فيينّا عام 1894 (راجع رسالة من فرويد إلى فليسّ في 7 شباط 1894)" (خوان باوتزا).

على سبيل المثال، إذا أنا إنطَلَقتُ من برهان خاطئ مثل: "البشر هم أشجار" ، كل ما أحاول استنتاجه انطلاقاً منه سيكون خاطئًا: سأقول أن يوحنا هو كائن بشري، لذلك فهو مصنوع من الخشب؛ وأمَّا مَريم، لكونها أيضاً كائن بشري، يجب أن يكون لها أغصان بدلاً من أَذرُعْ ،كجميع الأشجار؛ وأيضاً بطرس، إذا هو بكائن بشري، سَيَحتَرِقْ وسَيَشتَعِلْ كجميع الأشجارالتي هي من الخشب؛ وإنّ وردة، هي أيضًا من الجنس البشري، لا يمكن أن يكون لها أقدام، بل جذور... وهكذا، فإن البرهان: "الناس هم أشجار" هو بروتونات زائفة أو باطلة، أصل الباطل، الذي جَعَلَ كل فكري وطريقة تعليلي حول الكائنات البشرية بدون معنى.

لذلك القول بأنَّ التَجَسُّد هو بروتونات زائفة، أي أصل الباطل، أعلن هوركهايمِر وأدورنو يُعلِنون أنَّ جميع ما عَلَّمَهُ الدين المسيحي، والذي ينشأ من الإيمان في تجسد ابن الله، لَهو باطل وكاذب، ولِنَكون في الحقيقة يجب نِكران التجسد ومحاربة كل ما نشأ منه. لا ننسى أننا لا نتكلم عن فلاسفة غير متَّزنين ولكن عن اثنين من أكثر المؤلفين شهرةً واحترامًا في القرن العشرين، والذين مِنْهُ إستَقَوا، واستَمرّوا في فعله، الحركات الفلسفية والثقافية الرئيسية للقرن الأخير.

لا يجب أن يُفاجِئنا. ذلك الذي يقولونه أنه كان موجود في أول إعتراض على الإيمان، تلك التي كان يجب أن يوَجِهُها في عصورهم الرسل وآباء الكنيسة الأولين : بدعة ال نيوستيشيزمو Gnosticismo (التي تَدّعي الفهم للأسرار الربَّانيّة) المُعادي للمسيحية. قد ذَكَرَه القديس البابا يوحنا بولس الثاني بشجاعة ووضوح كبيرين، في عام 1986، أمام الهيئة الأكاديمية لجامعة ليون، حيث كان العديد من أساتذة الجامعات يَتَّبِعونَ هذه البدعو (أو الفكر) : "المعرفة الروحيَّة (كانت) واحَدة من أول الإحتِجاجات المعارضة بشدّة على الدين المسيحي". احتجاج معارض شديد! يعني "المعارضة الكاملة". وأضاف (البابا) في ما يلي: "من يتجرَّأ على القول أنَّ تجربة البدعة تلك (للفكر ال نيوستيشي) لم تعد عقبة أمام الكنيسة ؟ إنَّ المُحاولةَ لتفسير الدين المسيحي من قَبَلِ الفلاسفة مثل هِيغِلْ في الواقع كانت طريقة لإفراغ الإيمان المسيحي من جوهره، مُفَسِّراً إلى مَحيْ ابن الله (التجسد) على أنها فقدان لهوية الله وإلغاء لِلهوّة بين الله وخَليقَته"[3].

رأى البابا القديس في هيغِلْ استمرار لهذه البدعة (المعرفة الروحية) المعارضة للتجسد. هيغِلْ، الأكثر نفوذاً بين الفلاسفة الحديثين... معلم لِـ هوركهايمِر و أدورنو، الذين تَمَّ ذِكرُهم سابقا، ولجيش تلاميذهم. هناك يظهر الثقافة الماركسية (من أتباع مذهب كارل ماركس)، والحركة النسائية المُتَعصِبّة، والتيارات المادية في عصرنا، ومذهب أو نظرية للجنس، والتي هي الأكثر تَعَصُّب لِـل فِتَنْ ضد علم الانسان، "لا يمكن الذهاب أَبعَد" من الأخطاء المُضادّة للانسانية وللذي ماهو فوق الطبيعة (ميتافيزيكا).

لذلك لا ينبغي أن يُفاجئنا أن جميع الصراعات اللاهوتية- التي هي الوحيدة المهمة جداً - يَمُرّون من التجسد. قال القديس ليون الكبير أنَّ "يكاد لا أحد (من المهرطقين) تَمَّ خِداعُه إلا وقد تَخَلَّى عن الإيمان بحقيقة الطبيعتين المرتبطتين بشخص المسيح الواحد"[4]، أي؛ التجسد. جميع السيوف متقاطعة هناك. وهذا ليس من الـ "نَعَمْ" لمريم التي فتحَ أبواب العالم لكلمة الله، ولكن من الإيحاء لهذه الـ "نَعَمْ" في بداية الزمان، عندما قال الله: "*أضع عداوة بَينَكِ وبينَ **المرأة**، بين نسلك ونسلها، فهو يَسحَقُ رأسَكِ وأنتِ تُصيبين عَقِبَهُ*"(تك 3: 15). وشملت قبلاً، عندما ، كما يقول سفر الرؤيا: "*وَنَشَبَتْ حَربٌ في السماء، فإنَّ ميخائيل وملائِكتهُ حاربوا التِّنِّين، وحاربَ التِّنِّين وملائكته*"(رؤيا 12: 7). لأن آباء الكنيسة أَكَّدوا أنَّ التّنّين ومَلائكته تَمَرَّدوا عندما كشف لهم الله التجسد المستقبلي، أيّ أنَّ ابنه الأبدي كان سيخذ طبيعة، ولكن طبيعة إنسانية. رفض بعض الملائكة أن يعبدوا طبيعةً أدنى من طبيعتهم، حتى لو كانت متحدة بشكل افتراضي مع الله. سفر الرؤيا، قبل وصف المعركة بين القديس ميخائيل والتنين، يقول أن التنين *وقف أمام المرأة التي توشك أن تَلِد، حتَّى إذا وَضَعتْ وَلَدَها ابتَلَعَه* (رؤيا 12: 4). هذا الابن هو الكلمة المتجسد. تبدأ المعركة في الدفاع عن ابن المرأة، ابن الله ، المكروه من قبل التنين، الذي يحدده كاتب سفر الرؤيا بقوله إنَّهُ "*الحَيَّة القديمة، ذاك الذي يُقال له إبليس والشيطان، مُضلِّلُ المعمورِ كُلِّه*"(رؤيا 12: 9). "معركتهُ العنيفة مع المسيح وضد عمل الفداء - قال لاهوتيّ مشهور من القرن الماضي - يسمح لنا أن نستنتج أن الشيطان قاوم الاعتراف بسيادة المسيح، على التَّعَرُّف أنه المسيح، ابن الله المُتَجَسِّدْ ، فهو قلب ورأس الخليقة"[5].

ولكن إذا كان هذا هو الحال دائمًا ، فإن عصرنا يشهد كثافة غير مسبوقة. في عام 2001 ، أشارَ البابا يوحنا بولس الثاني للدومينيكانيين على أنَّ رهبنَتَهم قد أسسها القديس دومينيك من غُوزمان خصوصاً لمحاربة واحدة من أشكال عديدة "مُتكررة" للفِكر الـ نيوستيشيزمو(التي تَدّعي الفهم للأسرار الربَّانيّة) المعارض للدين المسيحي. "الفكرة الأساسية "لهذه البدعة، ذكر البابا "هي أنَّ رفض التجسد، إنكار أن *الكَلِمة صار بَشَراً، فسكنَ بَينَنا (...)، مِلْؤه* النِّعمةُ والحَقّ"(يوحنا 1.14) ". وبعده بقليل تابع: "ليس هناك شك أنَّ... الأخطاء الكبيرة لا تموت بزيادة، ولكن تظل في سُبات لفترة طويلة ثم تعود لِلظُهور بأشكال أخرى... نعيش في زمن مُتَّسِم، على طريقته، بالرفض للتجسد. للمرّة الأولى من ولادة المسيح، التي حدثت قبل ألفيّ عام، يبدو الأمر كما لو أنه لم يعد يجد مكانًا في عالم دائماً مُتزايد العلمانية.

---

[3] يوحنا بولس الثاني، خطاب أمام الهيئة الأكاديمية بجامعة ليون ، 7-10-1986 ، رقم 5.

[4] القديس ليون الكبير، وعظة عن الميلاد، 8, 4.

[5] سشماوس, م. ، اللاهوت العقدي,2 الله الخالق، ريالب، مدريد (1961)، الفقرة 123.

لا يتم دائماً رفض المسيح بطريقة واضحة؛ في الحقيقة يقول الكثيرون أنهم يُقَدِّرونَ المسيح ويعطون إعتبار لبعض عناصر تعاليمه. ولكنَّه يَبقى بَعيدًا: في الوقع هو ليس معروفاً ولا محبوباً ولا مُطاعاً؛ بل متسوب إلى ماضي بعيد أو إلى سماء بعيدة. إن عصرنا ينكر التجسد بعدة طرق عملية، وتكون العواقب لهذا انكار واضحة ومقلقة "[6]

من بين العواقب لهذا النكار للتَجَسُّد ،البابا أشار إلى الخسارة لِـ "معنى الوجود البشري"، الذي تؤدي، بدورها، لِـ "اليأس والاكتئاب". وتَحَدَّثَ أيضاً عن انعدام الثقة العميق في العقل وفي القدرة البشرية على فهم الحقيقة، وأيضاً يَضَع فكرة الحقيقة نفسها في شك" . في نفس الوقت، " لا يتم إحتِرام ولا حب الحياة؛ لهذا السبب تزداد ثقافة الموت، مع ثمارها المريرة: الإجهاض والقتل الرحيم. لا يتم تَقدير ولا حب - الجسد والحياة الجنسية الإنسانية بشكل صحيح؛ من هذا ياتي انحطاط الجنس، والذي يُظهِر نفسه في موجة من الإضطراب الأخلاقي، والخيانة والعنف الإباحي. لا يتم حب ولا تَقدير الخليقة نفسها؛ ولهذا روح الأنانية المُدَمَّرة يتم إدراكها في سوء المعاملة وفي استغلال المحيط".[7]

لا نشعر بحالتنا الراهنة أنَها مستنكرة بشكل كامل في صورة متعددة الأوجه، والتي أوجُهُها متعددة هم إنكار الحقيقة، رفض الحياة، ومحاربةُ ضد الطبيعي، والصَدّ لما هو فوق الطبيعة ولما هو أبَديّ، اليأس، المذهب النسبي، وخراب القانون، الإنتصار للظلم، مملكة الزوال والتخلي عن جميع الالتزامات؟

منذ نصف قرن، انفصلت ثورة حبوب منع الحمل عن حب الإنجاب ؛ في تتبع لاحق ثورة الطلاق فصلت حب الولاء ؛ في عاصراً ، الثورة الجنسية تفصل الجنس عن الحب ؛ ثورة الأنانية فصلت الفرد عن المجتمع وعن قريبه ، بم فيهم أبناؤه ، الذين قُتلوا بالإجهاض ، ووالديه ، الذين قمعوا أنفسهم بالقتل الرحيم أو تركوا أنفسهم في منازل التقاعد ؛ فصلت ثورة الازدهار التخصيب عن النزاهة والعدالة. الحركة النسائية الراديكالية (التي له جزور) تفصل المراءه عن الرجال وحتى عن الأنوثة نفسها ؛ تسعى حركة التربية فصل - وتقريبًا نجحة - الأطفال عن الآباء ، لتسليمهم إلى حالة ذهنية شمولية متلاعبة ؛ تتطلب الحركة النوع الاجتماعي - وهي نجحة - فصل الهوية الجنسية عن الطبيعة الإنسانية ، وهذا لا يعني شيئًا ، ولا يمكن حتى التحدث عنه أن لم يطارده من المجتمع الأيديولوجي والشمولي. ما تبقى لنا لفصل وتدمير؟ ما هو المجتمع الذي نبنيه؟

حتى نهاية ثلاثين عامًا مضى مُجتمعٌ كهذا الذي قد إنتهيت توّاً لوصفه ممكن الهثور عليه فقط في الوقائع المريرة. بهذه الطريقة يتم تسمِيت تلك الأوصاف الرائعة للمجتمعات الاستبدادية حيث يسود الرعب ويُفرَض إنكار الله وكل ما هو طبيعي، معادٍ للإنسان، معادٍ للمجتمع، معادٍ للحقيقة، معادٍ للأسرة، معادٍ للحب، معادٍ للحياة؛ نوع من الجحيم نَشَأَ في هذا العالم، وأحيانًا يَكون معروضاً مع سمات نهاية العالم، أما غيره فيكون لابساً ألواناً زاهية، محاطاً بالتقدم التكنولوجي والعلم الذي انتهى به المطاف إلى خنق الجمال، الشعر، الحب، البراءة، البطولة، الأمل، الفرح، والضحكات.

كثيرون منكم قد قرأوا أو سمعوا على الأقل رواياتاً مثل عام 1984، بقلم أورويل Orwell؛ عالم سعيد، بقلم هكسلي Huxley؛ فهرنهايت (Fahrenheit 451)، بقلم برادبري (Bradbury)؛ نحن، بقلم يفغيني زامياتين Yevgueni Zamiatin؛ إيمان آبائنا، بقلم فيليب ديك Philip Dick. أو ربما قد شاهدتم بعض الأفلام العديدة المستوحاة من نوع واقع مرير. يبدو مألوفاً لكم، على سبيل المثال، متروبوليس *Metropolis* (فريتز لانج ,Fritz Lang ,1927)، المصفوفة *The Matrix* (Wachowski 1999) ، المُدَمّر Terminator، (كاميرون ، 1984) ، مدينة الأطفال الضائعين The City of Lost Children (CarO Jeunet, 1995) ,

Twelve Monkeys (*Dodici scimmie*, Gilliam, 1995), *The Hunger Games* (Ross, 2012), *The Maze Runner* (Ball, 2009), *Blade runner* (Scott, 1982; 2017), etc..

وراء المغامرات المؤلمة والمواضيع الخيالية وغالباً تافهة لهذه الكتب والأفلام، يكمن نوع من التشاؤم، وهو تحذير يائس للاتجاه الكارثي الذي اتَّخَذَتهُ حضارَتُنا. الأسوأ هو أن البعض -أو ربما الكثير- من الأشياء التي تُمَثِّلُها هذهِ القصص بإعتبارها كابوس المستقبل، هي بالفعل جزء من واقعنا.

ما لا يقوله أيٌّ من هذه الأعمال هو ما حاولنا شرحه في البداية: أنَّ كل هذا لدَيه أصلٌ في رفض **الحقيقة**: **"الكلمة صار جسداً"**. نعم، إنَّه كذلك، يتم رفض التجسد، أي يسوع المسيح، تعليمه، وشريعتهُ... يَهتَزُّ كل شيء ويتناقص في حطام؛ وينشأ مجتمع شَيّطانيّ. لا يوجد فيه تدابير وسطى. "مَنْ لم يكن معي كانَ عليَّ، ومَنْ لم يَجمَع معي كان مُبَدِّداً "(متـ 12: 30). " يفرقُ "، أو، يُخرّب، يُبطل، يُدَمِّرْ. يقول شِيسترتون: "عندما يتم مَحي ما فوق الطبيعي، يبقى لدينا فقط ما هو ليس بطبيعي".[8]

إذا كان رفض التجسد هو أصل جميع هذه الشرور، فإنَّ تَقَبُّلَهُ لهوَ أصلُ جميع الخيرات. الكلمة صار جسدًا لِيَفدي الإنسان والعالم؛ لقد إتَّخذَ طبيعةً مِثلَ طَبيعتِنا ليدخل العالم كسيد وملك، ويَكسبُ كلَّ الأشياء. ويَكسَبُها بالقَدَرْ الذي به يَتَّخِذها، لأنه كما يقول القديس

[6] يوحنا بولس الثاني، رسالة بمناسبة الإجتماع العام لرهبنة الواعظين، 28 حزيران 2001.
[7] المرجع نفسه
[8] جيلبرت شِستِرتون، الهَراطِقة، في: الأعمال الكاملة، بلازا و خانيس (1967), ت.ي., 369.

غريغوريوس النزنزي، ومعه العديد من آباء الكنيسة الآخرين، فإنَّ كل ما لم يتم إتِّخاذه من المسيح لا يمكن أن يخلص[9]. أن يَتَّخذ يعني أن يَتَحَوَّلْ. لذلك التجسد يجب أن يَمتَدْ حتى الإكتساب على جميع الوقائع الإنسانية وعلي كل الرجال والنساء.

الأسرة، التعليم، الثقافة، الفن، العادات، السياسة، الاقتصاد، العلوم، العمل، الجيوش، المُدُنْ، البلدان، العلاقات الإنسانية، العدالة، الرياضة، الصداقة... كلُّ شَيء يجب أن يُتَّخَذ من قِبَل إنجيل ربنا يسوع المسيح. هذا يُفَسِّر حقيقة أنَّ مُهمة التَّجَسُّد لم تنته ولا يمكن أن تنتهي حَيثُ أنَّه يتواجد شيءٌ لِتَمَلُّكِه.

طالما أنَّه موجودٌ حدود

من الارض، التي لا تعبد

من جاء لِيُخلِّصُنا

الأرض لا نهاية لها!

يجب علينا أن نَمُدَّ تجسد المسيح، تارِكينَ أنفُسَنا للإمتلاك من شخص، تعليم وأخلاق يسوع المسيح؛ وبمجرد إمتلاكها، يجب علينا غزو كل ما هو موجود حولنا. وليس من الخارج، كمثل الذي يَطلي (يَدهَنْ) الأشياء بِلَمَعان مسيحي بسيط، ولكن من الداخل، مُعطِياً لجميع هذه الأشياء روحًا جديداً: هو روح الإنجيل، والذي هو الإيمان والمحبة الذين يَنشَآنْ من المسيح. طالما أن حقائق العالم لن تَتَحَوَّلْ، ترتفع وتتكامل وفقًا لمبادئ المسيح، فلن يتم فعل أي شيء -أو فعل القليل جداً- وبذور الموت التي قد وَصَفناها سابقاً سيُهدِّدون بالسيطرة علينا وعلى العالم.

إنها مَهَمَّة عِملاقَة. صعبة. لكن ممكنة، ممكنة الحصول جدا. لأنها ليست من فعل أيدينا بل من فعل الله، نحن نعرف أنه سيكون على هذا النحو. قد نُبِّئَ به. في النهاية سَيَنتَصِرْ الحمل وسيجعل مدينته هي التي تسود، ثمرة التجسد. يُخبِرُنا الكتاب المقدس عن هذه المدينة في سفر الرؤيا أنَّهُ "*لن يكون لَعنٌ بَعدَ الآن، وعَرشُ اللهِ والحَمَلِ سيكونُ في المدينة، وسيَعبُدُهُ عِبادُه ويُشاهِدونَ وَجهَهُ، ويكونُ اسمُه على جِباهِهِم. ولَن يَكونَ لَيلٌ بَعدَ الآن، فلن يَحْتاجواإلى نورِ سِراجٍ ولا ضِياءِ الشَّمْس، لأنَّ الرَّبَ الإلَهَ سَيُضيءُ لَهم، وسَيَملِكونَ أَبَدَ الدُّهور.*" (رؤيا 22: 3-5).

ولكنْ لَنْ يَدخُلَ الجَّميعُ إلى المدينة، فقط "***.. لِلَّذينَ يَغسِلونَ حُلَلَهُم (بدم الحَمَل)، لِيَنالوا (هم) السُّلطانَ على شَجَرَةِ الحَياة ويَدخُلوا المَدينَةَ مِنَ الأبْواب***" (رؤيا22: 14). سَيَبقى الآخرون في الخارج: "***ولَيسَا الكِلابُ والسَّحَرَة والزُّناة والقَتَلَة وعَبَدَةُ الأَوثان وكلُّ من أَحَبَّ الكَذِبَ واقتَراه***" (رؤيا 22: 15).

إن مهمتنا هي محاولة تغيير الجميع وتحويل كل شيء حتى أنَّ مدينة الله، السماء الطوباويّين، لتُصبِح مُمتَلِئة بجميع أولئكَ الذي من أجلِنا ومن أجلِهم أتى الكلمة وأصبح جسداً.

هذه هي المُهِمَّة، الهدف، العمل الذي دُعِينا إليه في هذه العائلة الرَّهبانية، كَمُكَرَّسين وعلمانيّين، كأفراد وعائلات.

الله يعطي الجميع النعمة لمرافقته إلى نهاية في هذه المهمة الإلهية.

[9] القديس غورغريوس النزنازي، الرسالة 101.